معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 2 October 2020
Accepted date: 15 November 2020

كيف حاور القرآن: دراسة في الأنواع والضوابط والأهداف

DIALOGUE IN THE QURAN: TYPES, CONTROLS AND OBJECTIVES

Mohammed Semi'
College of Sharia and Islamic Studies,
Sharjah University, United Arab Emirates (UAE)
E-mail: dr.semai_m@yahoo.fr

Man Baker
College of Humanities and Social Sciences
Zayed University, United Arab Emirates (UAE)
E-mail: man.baker@zu.ac.ae

Mohamed Abouzeid
College of Humanities and Social Sciences
Zayed University, United Arab Emirates (UAE)
E-mail: Mohamed.abouzeid@zu.ac.ae

الملخص

أسلوب الحوار هو أحد الأساليب المبتكرة في النص القرآني الكريم، ولم يكن أسلوبا معهودًا في الكلام العربي، وقد برز بوضوح في قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وبهذا الأسلوب الفريد ارتقى القرآن العظيم بأفهام العرب إلى مستويات عالية في البحث والمناظرة، ووضع أسس هذا الفن الذي لم يألفه العرب من قبل بعثة خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ. ويهدف هذا البحث إلى دراسة واستقصاء أنواع الحوار القرآني، وأهدافه وضوابطه، كما ظهرت في آيات القرآن الكريم، حاول الباحثون من خلاله الكشف عن أبرز الضّوابط والأسُس التي تكفلُ نجاح الحوار، وترتقي به إلى المستوى الذي يُؤهّله لأن يكون وسيلةً ناجعةً في حلّ الأزمات وعلاج المُشكلاتِ؛ وتبرز أهمية البحث في حاجة المسلمين اليوم إلى ترسيخ أسس الحوار البنّاء فيما بينهم، وأسس الجدل والمناظرة مع أتباع الملل الأخرى. والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائيّ التّحليليّ، بجمع أبرز الحوارات الواردة في القرآن، ثم تقسيم هذه الحوارات إلى أنواع، ثم وضع الأسُسِ والضوابط المُؤثّرة في توجيه الحوار وإنجاحه. وقد خلصت الدراسة إلى أن الحوار هو أسلوبٌ دعويٌّ قرآنيٌّ أصيلٌ؛ وهو لا يعني التلقين برأيٍ أو فكر مُعيّن من جانب واحد، وإنما يعني أن يُعلِن كلّ طرف عن رأيه، ويأتي كلٌّ بدليله الذي يُؤيّده، وهو ما يؤدي إلى تحقيقِ التّقارب والتّجانس بين المُختلفين، شريطة الالتزام بآداب

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الحوار، وحُسن العرض والاستدلال والبيان. ومن أهم النتائج أيضًا أنّ للحوار النّاجح عوامل كثيرةً، وفي مُقدّمتها: الاعتراف بأنّ الخلاف سنّةٌ من سُنن الله في خلقه، والاعتراف بأنّ العمل على الاتفاق فريضةٌ من فرائض الدّين لتحقيق مفهوم الأمّة الواحدة، والرجوع إلى الأصول وعدم الجدل في الفروع، والانطلاق من نقاط الاتّفاق لا نقاط الاختلاف، والانطلاق من المقاصد لا من الوسائل.

كلمات مفتاحية: الحوار، الجدال، القرآن

ABSTRACT

The dialogue style was one of the innovative methods in the noble Qur'an text, that wasn't common in Arabic speech; it had clearly emerged in the stories of the prophets, peace be upon them with their people, whereby through this unique method the Holy Qur'an had raised Arab understandings to high levels in research and debate, and laid the foundations of this art which The Arabs were not familiar with before the Qur'an revelation. This research aims to study and investigate the types of Quranic dialogues, its objectives and controls, as it has appeared in the verses of the Noble Qur'an, through which the researchers have attempted to uncover the most important controls and foundations that ensure the success of the dialogue, in order to be effective in resolving crises and in treating problems. The importance of this research is evident in the need for Muslims today to consolidate the foundations of constructive dialogue among themselves, and the foundations of debate with the followers of other denominations. The methodology that has been used in this research is the inductive analytical method, i.e. by collecting most of the dialogue patterns that are mentioned in the Qur'an, categorising them, and laying down the foundations and controls that influence the direction of the dialogue and its success. The study concluded that the dialogue is an authentic Quranic advocacy method. It does not mean indoctrinating a specific opinion or thought from one side, rather it influences each party to declare their opinion, and come with their evidence. This leads to achieving rapprochement and homogeneity among the opponents, that is provided that the etiquette of dialogue is adhered to and is well presented. Among the most important results is that a successful dialogue has many factors, at the forefront of which are recognition that disagreement is of the Sunnah of Allah in His creation, and the recognition that working towards an agreement is an obligation to achieve the concept of a single nation, and to refer to the principles rather than disputing the branches, as well as to start from the points of agreement and not the points of difference, focusing on the purposes not the means.

Keywords: Quran, Dialogue, Debate

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

1. المقدمة

أتى القرآن الكريم بأفانين من الكلام غير معهودة عند العرب، فقد انحصر كلامهم في الشعر والنثر، ثم إن النثر كان خُطَبًا أو أسجاعًا، والتزم العربُ في الشِّعرِ والخطابةِ أساليبَ متشابهة،[1] ومن الأساليب المبتكرة التي لم يعهدها العرب أسلوب الحوار، الذي برز في قصص الأنبياء، وكذلك في مناقشات عقائد المكذِّبين بالقرآن من العرب.

وقد نقل الحوار القرآنيُّ العربَ المخاطَبِينَ بالقرآن إلى مستوياتٍ رفيعةٍ في الحوار والمناظرة، حيث سجَّل نماذج نقيَّةً وساميةً من حوارات الأنبياء، ومن مجادلة المكذِّبين، تؤصِّل لبناء الحوار والمناظرة على المنطق السليم، والأصول العقلية المعتبرة، فشكَّل بذلك أداةً مُهمّةً لترقية الفِكْر بين أفراد الأمّة، كما أنّه يُعدّ وسيلة مهمّة لتذكير النّاس بالمبادئ والأصول والأدبيّات الإسلاميّة، ورقعةُ تداوله واسعةٌ جدًّا.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن أبرز الضّوابط والأسُس التي تكفلُ نجاح الحوار، وترتقي به إلى المستوى الذي يُؤهّله لأن يكون وسيلةً ناجعةً في حلّ أزمات الأمّة العربيّة والإسلاميّة وعلاج مُشكلاتِها؛ ونحن المسلمين اليوم بحاجة أشدّ من أيّ وقت مضى إلى حوار بنّاء مع أنفسنا ومع غيرنا؛ وذلك من شأنه أن يُحوجنا إلى معرفة المسلك السويّ القويم الذي يأخذ بنا إلى الرقيّ والنّجاح، ويبعد بنا عن أسباب الفشل والانهيار.

أهمية الموضوع: والحديث عن الحوار في القرآن الكريم وضوابطه ذو أهميّة بالغة؛ ويمكننا أن نجمل ذلك في النّقاط التّالية:

أ. أهميّة الحوار من حيث ذاته؛ وغير خاف أنّ القرآن الكريم أمر المؤمنين به باعتماد الحوار أسلوبًا للوصول إلى المخالِفِينَ، وجعل أسلوب الدّعوة إلى الإسلام قائماً على الحوار بالحكمة والجدال بالأسلوب الأحسن؛ كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

ب. أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم؛ فهو في حاجة إلى أن يستنير برأي غيره، وسبيل ذلك الحوار المنضبط؛ فالحوار مُهمٌّ في اكتشاف الحقّ؛ كما أنّه مُهمٌّ في اكتشاف فهم المخالف بما يُعين على توجيهه أو تصحيحه إذا كان مخطئًا، وقبول قوله إن كان مُحِقًّا.

ج. أنَّ الحوار الموجَّه سبيلٌ لا غنى عنه لتوسيع المدارك؛ فكلَّما احتلّت السَّعة في الفكر والمنهج في واقع الأمّة مساحةً أكبر وحيّزاً أوسع؛ كلّما اتّسعت آفاق التّقارب والاتحاد، وانحسرت مظاهرُ الفُرقة والاختلاف.

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ١/١٠٤.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والمنهج المُتّبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائيّ التّحليليّ، فقد قمنا بجمع أبرز ما ورد بشأن الحوار مع الآخر في القرآن، والاستفادة من ذلك في وضع أسُسٍ وضوابط مُؤثّرة في توجيه الحوار وإنجاحه؛ والتزمنا الاختصارَ والإيجازَ ما أمكن حسبما يقتضيه المقام.

2. مفهوم الحوار مع الآخر

كلمةُ الحوار في اللغة مُشتقّةٌ مِن تحاور القومُ؛ أي تراجعوا الكلام بينهم، والحور: هو الرّجوع عن الشّيء وإلى الشّيء؛ يُقال: حار إلى الشّيء وعنه حورًا ومحارًا ومحارة وحُؤورًا: أي رجع عنه وإليه؛ ومنه قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدوُّ الله؛ وليس كذلك؛ إلا حارت عليه»[2]؛ أي رجع إليه ما نسب إليه غيره[3].

ومنه الدّعاء المأثور: «نَعُوذُ بالله من الحَوْر بَعْدَ الكَوْر» [4]؛ أي من النُّقْصَان بَعْد الزِّيادة؛ وقيل: من فساد أمورِنا بعد صَلاحِها؛ وقيل: من الرُّجُوع عن الجماعة بَعْد أن كُنَّا منهم[5]؛ ومنه التّحاورُ الواردُ في قول الله تعالى:﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٤]؛ أي يراجعه الكلام[6].

وأمّا الحوار في الاصطلاح: فقد عرّفه البعض بأنّه: وسيلةٌ تَستخدم الإقناع الذاتيّ لتمحيص الأفكار والمعلومات السّابقة واختبارها بطريق غير مُباشر للتأكّد من صحّتها أو خطئها[7].

والحوار مع الآخر في القرآن الكريم: أسلوبٌ قرآنيٌّ يمتاز عن غيره بنقل المعلومة لا بطريق الخبر؛ وإنّما من خلال السّؤال والجواب، وعرض الآراء المتّفقة أو المختلفة؛ الأمر الذي يُعطي الإطار الذي تُنقل به المعلومة حيويّةً تُثير أذهان السّامعين، وتدفعُهم إلى تمحيص الأفكار ومُحاكمتها عقليًّا؛ من أجل الوصُول إلى حقيقةٍ من الحقائق التي لا تحتمل الشكّ ولا النّقد ولا الجدل[8].

والحوار مختلف عن بعض الألفاظ التي قد تستخدم هنا بطريق البدل، كالمجادلة أو المناقشة. فالجدل والحوار قد يلتقيان في أن كلاً منهما الكلام مع الآخر ومخاطبته في أمر مشترك، لكن الجدل يحمل معنى الشدة والخصومة

---

[2] مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (2010)، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (79/1). والحديث في كتب الإيمان، باب: بيان حال من رغب عن أبه وهو يعلم، رقم (61).

[3] ابن منظور محمد بن مكرم (1993) ، لسان العرب، بيروت: دار صادر، (217/4).

[4] مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الحجّ، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحجّ وغيره، رقم: (1343) ،(979/2).

[5] النّوويّ، يحي بن شرف (1392هـ)، شرحُ صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، (111/9).

[6] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، (1998)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الرياض: مكتبة العبيكان، (٥٨٦/٣).

[7] الهاشمي، عبد الحميد ، (1981)، الرسول العربي المربي، دمشق: دار الثقافة للجميع، ص85.

[8] الزّبون، أحمد (2007)، الحوار التّربويّ في السنّة النبويّة، ورقة قدمت في مؤتمر السنّة النبويّة في الدّراسات المعاصرة، جامعة اليرموك: الاردن، (54/2).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أكثر، بخلاف الحوار الذي يكون مقصوده إظهار الحق وبيانه في أسلوب محبب ومقنع للسامع، ويكون الحق فيه هو المقصد للطرفين المتحاورين، وليس إفحام الخصم وإسكاته كما في الجدل فهو مشتق من الجدل، وهو شدة الفتك، والجدال أو الجدل هو شدة الخصومة، و المجادلة هي المنازعة، لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم، ولذلك رأينا القرآن الكريم ينهى عن الجدل في تسعة وعشرين موضعاً، ولم يأمر بها إلا في ثلاث مواضع، وكلها شرطها بالحسنى ، كقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وكذلك المناقشة أو المناظرة، والتي تدل على المحاسبة وتعرية أخطاء الطرف الآخر لبيان قوة الحجة التي يستند إليها المتكلم، وهي وإن كانت وسائل لبيان الحق يمكن استخدامها في مواضع معينة يحكمها الزمان والظرف، إلا أن الحوار أشمل منها وأعم، وهذا يمكن أن يدرك من الحروف المكوِّنة لكلمة (الحوار) والتي يسهل على اللسان نطقها من مخارجها، بخلاف النقاش والجدل ، والتي تضم حروف كالجيم والشين والذين يدلان على الشدة والجزالة[9].

وتميل هذه الدراسة إلى أن الحوار هو نوع خاص من بيان الحجة والبرهان له شرائط وأدوات وأهداف، بمجموعها تشكل حالة نفسية هادئة يمكن من خلالها عرض الأقوال والحجج دون إثارة الطرف الآخر أو انتقاصه أو تسفيهه، وهو ما شكل ميزة خاصة لحوارات القرآن الكريم.

3. أنواع الحوار في القرآن الكريم [10]

ورد الحوار في القرآن الكريم على أنواع مختلفة وأشكال متعدّدة؛ وذلك تابعٌ للغرض الذي يُساق من أجله؛ وفيما يأتي ذكرٌ لأهمّ هذه الأنواع:

أ. الحوار التعبدّي:

والمراد به جملةُ الأسئلة التي وجّهها القرآن الكريم للمُكلّفين قاصدًا بها أن تتجاوب قلوبهم وتتفاعل مشاعرُهم وعواطفهم مع مضامينها؛ ومن ذلك ما رواه أبو داود عن مُوسى بن أبي عائشة قال: كان رجلٌ يُصلّي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾ [القيامة: ٤٠]. قال: سُبحانك؛ فبلى؛ فسألوه عن ذلك؛ فقال: سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[11].

---

[9] زمزمي، يحيى بن محمد (1994)، الحوار: آدبه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ص6. وانظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي (1998)، في أصول الحوار، ص11.

[10] السقّار، منقذ بن محمود، الحوار مع أتباع الأديان، مشروعيّته وآدابه، جدة: رابطة العالم الإسلاميّ، ص25.

[11] أبو داود، سليمان بن الأشعث (1431هـ)، سنن أبي داود، بيروت: المكتبة العصرية، (233/1). والحديث في كتاب الصّلاة، باب الدّعاء في الرّكوع، رقم: (884).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ووجه التعبّد في مثل هذه الأسئلة أنَّ المكلَّف مأمورٌ بالإجابة عن هذه الأسئلة ولو في قرارة نفسه؛ فقد روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»[12].

والقرآن يثير هذه الأسئلة في نفوس السّامعين من أجل أن يتجاوبوا معها ويستحضروها بقلوبهم؛ ولذلك كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلّم أصحابه على ذلك تعليمًا عمليًّا؛ فقد روى النّسائيّ عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صلّيت مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ذات ليلة؛ فافتتح بآل عمران يقرأ مُترسّلا؛ إذا مرّ بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ[13].

ومن الأغراض التي من أجلها تُساق هذه الأسئلة الحواريّة في القرآن الكريم: دفع السّامع إلى تقويم سلوكه بما يُوافقها؛ وذلك نتيجة طبيعيّة للقناعة الفكرية النّاشئة عن أسلوب الحوار؛ فالذي يستجيب لسؤال ربّه فيما يتعلق بوعده ووعيده؛ حريٌّ به أن يستجيب بسلوكه؛ ولذلك لما نزلت آيةُ تحريم الخمر وخُتمت بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]؛ لم يجد صحابة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بُدّاً من التّجاوُب معها؛ حتى قالوا بملء أفواههم: انتهينا، انتهينا[14].

ب. الحوار التّذكيريُّ:

وهو الحوار الذي يُراد به تذكير المخاطب بشيءٍ غفل عنه ونسيه، أو تظاهر بجحوده وإنكاره؛ ومن ذلك خطاب القرآن الكريم للمؤمنين به بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ

---

[12] الترمذي، محمد بن عيسى (1975)، سنن الترمذي، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، (399/5). والحديث في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرحمن، رقم (3291).

[13] النسائي، أحمد بن شعيب (1986)، السنن الصغرى، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، (225/3). والحديث في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب تسوية القيام والركوع، رقم 1(664).

[14] الترمذيّ، سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم: 3049)، (253/5).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

﴿٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ٧٠ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ٧٣﴾ [الواقعة: ٥٨ – ٧٣].

وهذا الضّرب من الحوار له أثرٌ نفسيٌّ عميقٌ؛ فهو يُوقظ في النّفس عاطفة العرفان بالجميل المترتّب عليه عاطفةُ الخضوع والانقياد للأمر، الذي يدفع المكلَّف إلى التّطبيق.

ونظراً لأهمية هذا الأسلوب الحواريّ التذكيريّ؛ فقد أكدّه القرآن الكريم عندما خاطب الرَّسولَ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بقوله: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ [الضحى: ٦ – ٨]؛ والإجابةُ عن هذه الأسئلة تقتضي القيام بحقّ هذه النّعم بعد شكر المنعِم عليها، فأمره بعدها: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾ [الضحى: ٩ – ١١][15].

ج. الحوارُ التّنبيهيّ

وهو الحوار الذي يُساق فيه السّؤال وجوابُه؛ من أجل لفت الأنظار إلى أمر هامّ ثم يُشرح هذا الأمر تاركًا أعظمَ الأثرِ في السامعين؛ ومن ذلك قوله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤﴾ [القارعة: ١ – ٤]؛ وتكرّر ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم.

وقد اتخذ الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من هذا الأسلوب منهجًا في تعليم أصحابه وتربيتهم وترسيخ المعاني في أذهانهم؛ ومن ذلك ما رواه مسلمٌ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «أتدرون ما المفلس؟». قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع. فقال: «إنّ المفلس من أمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإن فَنِيت حسناتُه قبل أن يقضي ما عليه أُخِذ من خطاياهم؛ فطُرحت عليه، ثمّ طُرح في النّار»[16].

وهذا النّوع من الحوار يمكن اعتباره بحقٍّ أحد المناهج التّعليميّة؛ ولذلك فقد اعتمدته جلُّ المدارس المعاصرة؛ وقد سبق القرآن الكريم إلى هذه الطريقة بخمسة عشر قرنًا، كما يرى الباحث محمّد سبتان، إذ يقول: «فإذا كانت المدرسة الحديثةُ تستخدم طريق الاستجواب لتثبت المعلومة؛ فإنّ الإسلام قد وضع هذا الأسلوب مُنذ خمسة عشر

[15] انظر: الزّبون، الحوار التّربويّ في السنّة النبويّة، ص14

[16] مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البرّ والصّلة والآداب، باب: تحريم الظّلم، رقم: (2851)، (1997/4)

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

قرنًا من الزّمان، وشتان ما بينهما؛ فالمدرسة الحديثة: الاستجوابُ فيها مقصورٌ على أمور علميّة جافَّةٍ بظنٍّ أو يقين؛ لكنّ الحوار القرآنيّ والنبويّ يُجدّد أفكار السّامعين بأمور يقينيّة جديدة مُوجّهًا لهم الأخذ بخيرها وترك شرها»[17].

د. الحوار الوصفيّ

وهو حوارٌ يقوم على أساس إثبات وصف حيّ لحالة نفسيّة أو واقعيّة لمن يُوجه إليهم الحوار بقصد الاقتداء بالصّالحين، واجتناب الطّالحين؛ ومن ذلك قوله خطاب القرآن للمؤمنين، ومعاتبة بعضهم على التردُّد في النّفير مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وتفضيلهم القعود مع أهلهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [التوبة: ٣٨ – ٣٩].

ويرى الباحثان الزَّبون وسبتان أنَّ هذا النوع من الحوار من شأنه أن يترك في نفوس المخاطَبين بالقرآن أثرًا وُجدانيًّا؛ يُنمّي العواطف الخيّرة، والسّلوكات الفاضلة، فهو حوارٌ يعتمد استثارة العواطف الإنسانية والانفعالات الوُجدانيّة من أجل الانتقال بالنّفس مما هي عليه إلى ما هو أفضل وأحسن[18].

والقصدُ بمثل هذا الأسلوب: إثارة الاستعداد الوُجدانيّ كلَّما تكرّرت مناسبة تُشْبِهُ المناسبةَ أو الموضُوع الذي أثار الانفعال؛ كاستعداد المؤمن للتضحية من أجل عقيدته الراسخة، وحماسته لتحقيق أوامر رَبِّهِ الذي يؤمنُ به، والغضب من أجله؛ وليس يخفى ما للعاطفة الفعّالة من أثر في تقويم سلوك صاحبها.

هـ. الحوارُ القصصيُّ

وهو نوعٌ من الحوار يأتي على صُورة قصّة واضحة في تسلسلها القصصيّ، تشوّقُ السّامع لمعرفة أحداث القصة، وصولاً إلى الدّروس والعبر التي أسفرت عنها تلك الواقعة، والأمثلة على هذا الأسلوب الحواريّ في القرآن الكريم كثيرةٌ؛ ولعلّ من أظهر أمثلة الحوار القصصيّ ما حكاه الكتاب الكريم من قصّة الخصمين اللَّذَيْنِ تَسَوَّرَا المحراب على النبيّ داود عليه السّلام في قوله: ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ

[17] سبتان، محمد حسن محمد، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام؛ ص30. (كتاب منشور على: https://waqfeya.com/book.php?bid=7513، تاريخ الاسترداد 2020/10/29).

[18] الزّبون، الحوار التّربويّ في السنّة النبويّة، ص16. وسبتان، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام، ص34.

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ٢٤ ﴾ [ص: ٢١ – ٢٤]

ويرى الأستاذ الشيخ عبد الكريم الخطيب أن الحوار يُكْسِبُ القصصَ القرآنيَّ جمالاً ورشاقة، وحُسنًا متجددًا، لا يَمَلُّهُ النَّظرُ ولا تزهد فيه النفس، لأنَّ العمل القصصي بدون الحوار يتحول إلى كتلة باردة من الكلمات، لا رُوحَ فيها.[19]

ويقرر الخطيب أن القرآن الكريم قد ذهب بالأسلوب الحواري كل مذهب، ولوَّنه بألوان مختلفة حسب مقتضى الحال، فجاء منه المجْمَل والمفصَّل، والطويل والقصير، من غير إخلالٍ بالغرض الذي تساق له القصة في موضعها.[20]

و. الحوارُ الجدليّ[21]:

والحوار بالجدل يُعدّ من أبرز أنواع الحوار القرآنيّ، وهو حوارٌ يقومُ على النّقاش والجدل الموجّه، ويهدف إلى إثبات الحُجّة على المخالفين للاعتراف بضرُورة الإيمان بالله وعبادته، والاعتراف باليوم الآخر وبرسالة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبُطلان آلهتهم، وصدق ما أتى به.

ومن أمثلة هذا النّوع ما قصّ القرآن الكريم من محاورة إبراهيم الخليل عليه السّلام لأبيه آزر؛ حيثُ يقول له وهو يحاول أن يُبرهن له على بطلان ما هو عليه من عقائد الكفر والإشراك بالله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾ مريم: ٢٤ – ٤٥

ومن هذا القَبيل أيضا؛ مجادلتُه للنّمرود الذي ملك الدّنيا في زمانه؛ وفيه يقول الكتاب الحكيم: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ

[19] الخطيب، عبد الكريم (١٩٧٥)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، بيروت: دار المعرفة، ص١٢٣.

[20] المرجع نفسه، ص ١٢٤.

[21] الجدليّ من الجدل؛ وهو في اللغة مأخوذٌ من شدّة الفتل، يقال: جدلتُ الحبل أجدله جدلًا إذا شددت فتله، وفتلته فتلا محكما؛ انظر: ابن منظور، لسان العرب، (103/11). وهو في الحقيقة: دفع المرء خصمَه عن إفساد قوله بحُجة أو شبهة، ويقصد به تصحيح كلامه؛ ويكون في مُقابلة الأدلّة لظهور أرجحها، وإظهار الحقّ، وإلزام الخصم؛ انظر: الجرجاني، علي بن محمد (1983)، التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ص74.

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ومن أهمّ ما يُميّز الحوار الجدليّ الذي حكاه القرآن الكريم على لسان من ذُكِرَ من الأنبياء أنّهم لا يتوقفون عند قضيةٍ واحدةٍ إذا جحدها المخالف أو أنكرها؛ وإنما ينتقلون عنها إلى ما لا يمكن إنكاره.

ز. الحوار التّعريضيّ:

هذا النوع من الحوار يكون فيه تعريضٌ بأصحاب السّلوكات غير المرضيّة والخصال المنبوذة؛ وذلك بوصف حالتهم وضعفهم وسوء واقعهم، وتهديدهم بالعذاب والعقاب إذا أبوا الرّجوع عنه؛ كقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [مريم: ٧٧ – ٨٠].

ويُعتبر هذا الأسلوب طريقة تلقين غير مُباشر؛ وهو أشد تأثيرًا في كثير من الأحيان من التّلقين المُباشر. والمقصود الأعظم من مثل هذا النّوع من الحوار تسليةُ أصحاب السّلوك الصالح وتقويةُ عزائمهم، وإيذانٌ لهم بأن يحتقروا صفات المشركين وأعمالَهم، وإيقاظُ انفعال الاشمئزاز من باطلهم وكُفرهم؛ حتّى تُصبح هذه الانفعالاتُ عاطفةً مُتأصّلة في نفس المتعلّم عن طريق التّكرار[22].

4. أهداف الحوار كما دلت عليه السياقات القرآنية

يمكن القولُ بأنّ الحوار واحدٌ من أهمّ الأساليب الدّعويّة التي أصّلها القرآن الكريم، وأمر بها النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومن تبعه في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ والجدال المأمورُ به في الآية إن كان في الخير؛ فإنّه يعني بلا شكّ الحوار الإيجابيّ المثمر؛ وذلك أمرٌ محمودٌ مطلوبٌ؛ بخلاف الجدال الذي يقصد به الانتصارُ للباطل، والدّفاع عن الضّلال، وتفريق كلمة أهل الحقّ؛ فهو من قَبيل الحوار المذموم المرفوض.

فالحوار أسلوبٌ مُهمٌّ من أساليب الدّعوة؛ وله أهداف كثيرةٌ؛ منها:

أ. **الأهداف العاطفية:** وذلك بإثارة عواطف السّامعين والمتعلّمين وتحريك انفعالاتهم الوجدانية؛ لما يترتب على ذلك من آثار تربويّة؛ تتمثّل في انقياد المتعلّم للسّلوك الحسن والعمل الصّالح.

[22] سبتان، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام، ص32.

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وتظهر الأهداف العاطفية في الآيات القرآنية: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٣١].

فنجد الحوار الذي يثير الوجدان، ويحثُّ السامعين على أخذ القرآن، والاستعداد لحساب يوم الدين في النص القرآني الذي يصوِّرُ حال من أعرض عنه يوم القيامة، واتبع سبيل الشيطان، وهكذا فإن القرآن يهزُّ القلوب هزًّا بهذه المشاهد المزلزلة، التي تُجَسِّم مصيرَهم المخيفَ، وتريهم إيَّاه واقعًا مشهودًا... والهَوْلُ المرعِب ينتظرهم هناك، والندم الفاجع بعد فوات الأوان.

ب. **الأهداف التّعليميّة**: فقد استخدم القُرآن الكريم أسلوب الحوار التربوي في مواضع مختلفة لتوضيح كثير من الأمور التي قد تُشكل على السّامع ويعجز عن فهمها والوقوف على معانيها؛ وذلك من خلال التّركيز على أسلوب طرح السُّؤال للكشف عن مدى فهم السَّامع ومعرفته، ثمّ يتولى القرآن الإجابة عليها، أو يوكل ذلك إلى نظره العقليّ لوضوح الأمر بعد التّنبيه عليه بالسّؤال.

فمن ذلك معالجة الكتاب الكريم للغِيبة، يجد القارئ أنّ القرآن يستخدم الأسلوبَ الحواريَّ في تربية المؤمنين وتنقيتهم من هذه الآفةِ السلوكية؛ وذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

ج. **الأهداف التّنويريّة**: حيث سعى القرآن الكريم إلى تنوير العقول عن طريق المقارنة بين الحقّ والباطل، والخطأ والصّواب؛ لأنَّ الأشياء تتبيَّنُ بضدِّها، فوجود الشرّ مثلاً يُشْعِرُ النَّاسَ بقيمة الخير، وحلول الظلامِ يُذَكِّرُ بأهمية النور.

ومن أمثلة الحوار التنويريّ ما جاء في القرآن الكريم من قوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

فللحوار أهميَّةٌ لا تُنكر من أجل اختصار المسافة بين صواب المصيب وخطأ المخطئ؛ فليس من سبيل إلى ذلك إلا الحوار وتقليص نقاط التّباين، عندما يسلم القصد ويتجرَّد المتحاورون لطلب الحقِّ.

د. **الأهداف التّربويّة**[23]: فمن شأن الحوار أن يكوِّن في النّفس اتجاهًا وميلاً عقليًّا إلى أهمية التحاور وضرورته في الحياة والممارسات اليوميَّة عندما نختلف مع من نتعامل معهم من الأسرة والأصدقاء وسائر أفراد المجتمع؛ فيؤدي ذلك التوجُّه إلى انتشار ثقافة الحوار في المجتمع، وترقي ممارسات أفراده السُّلوكيَّة، ويتدرَّبون على المهارات الحوارية المختلفة.

وباعتماد الحوار وسيلةً للتّواصل وحلِّ المشكلات والنِّزاعات والصِّراعات بين الأفراد؛ يُمكن توفير الكثير من الوقت والجُهد؛ وذلك حيثُ ينشأ كلُّ فرد من المجتمع على الاهتمام برأي غيره، والتأدُّبِ بِحُسن الاستماع له واحترامه، ويتروَّض على الاستعداد لتغيير وتطوير أفكاره، فالحوارُ البنَّاء له دورٌ مهمٌ في اختصار المسافات وتقليص نقاط التَّباين والاختلاف ما أمكن بين المتحاورين.

ويمكن القول: بأنَّ نشر ثقافة الحوار أحد أهداف ورود هذا الأسلوب في القرآن الكريم؛ فهو المنوط به فهم كلٍّ من المتحاوِرَيْن مُنطلقاتِ محاورِه ومُسوِّغات مواقفه؛ وعندما يغيب الحوار تتحوّل الأمورُ إلى الهواجس والظُّنون والشُّكوك والتصدُّعات؛ والحوار من شأنه أن يُزيل تلك الهواجس والظنون أو يقلِّلها في أسوأ الأحوال.

5. ضوابط الحوار مع الآخر في القرآن الكريم

لقد رسَّخ القُرآن الكريمُ جملةً من المبادئ والقواعد التي من شأنِها إن التزم بها المؤمنون به أن يحقق حوارهم ثمرته المرجوة، ومن هذه الضّوابط:

الضّابطُ الأوّل: المحاورة بالحسنى

دعا القرآن أتباعه إلى الحوار بالحسنى، ومجادلة الآخرين بالأدب، فقال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ وقال أيضًا: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]؛ ولم يرتض القرآنُ الكريم لأتباعه المنهج الحسن في الحوار؛ بل المنهج الأحسن؛ وفي الإشارة إلى ذلك يقول الإمام القشيريّ: «ينبغي أن يكون منك للخصم تبيينٌ، وفي خطابك تليينٌ، وفي قبول الحقِّ إنصاف، واعتقادُ النّصرة —لما تراه صحيحاً— بالحجّة، وتركُ الميل إلى الشّيء بالهوى»[24].

[23] فالتعليمية القصد منها الإرشاد والبيان، بينما التعليمية هي في السلوك والممارسة

[24] القشيري، عبد الكريم بن هوازن (2000)، لطائف الإشارات، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (100/3).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بل طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يكون هذا منهجَهم في حوارهم وحديثهم كلِّه في جميع الظروف والأحوال؛ فقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

والسّبب الذي يُرجِعُ إليه القرآن الكريم الأمرَ بالجدالِ بالحسنى أنَّ الرِّسالة التي يحملها جاءت للناس كافَّة، والنّاس يختلفون في أذواقهم وآرائهم، تبعًا لاختلاف بيئاتِهم ونشآتِهم؛ وقد قرّر القرآنُ الكريم أنّ الخلاف بين النَّاس سُنَّةٌ ربَّانيةٌ جُبِلوا عليها، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨ – ١١٩]؛ وفي تقرير ذلك المعنى يقول الإمام الشاطبيُّ: «فأخبر سُبْحانه أنّهم لا يزالون مختلفين أبدًا، مع أنَّه قد خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين»[25].

فليس المرادُ بالاختلاف: الاختلافَ في الصّور والألوان والأشكال، وإنما المراد الاختلافُ في الآراء والنّحِل والأديان والمعتقدات المتعلّقة بما يسعد الإنسان به أو يشقى في الدّنيا والآخرة، ويُظْهِرُ ذلك بوضُوح وجلاء قولُه في الكتاب الحكيم: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]

الضّابطُ الثّاني: اللّين وخفضُ الجناح

وقد قرر الكتاب الحكيم هذا الضابط في قصة موسى وفرعون؛ حيث أمرموسى وأخاه هارون –عليهما السّلام– لما أرسلهما إلى فرعون وقومه قائلاً: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]. قال القُرطبيّ: «القول الليّن هو القول الذي لا خشوُنة فيه... فإذا كان مُوسى –عليه السلام– أُمِر بأن يقول لفرعون قولاً ليّنا؛ فمن دونه أحرى بأن يَقتدِيَ بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه؛ وقد قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣][26].

[25] الشّاطبيّ؛ إبراهيم بن موسى (1982)، الاعتصام، بيروت: دار المعرفة، (165/2).

[26] القُرطبيّ؛ محمّد بن أحمد (١٩٥٠)، الجامعُ لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، (٢٠٠/١١).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد أرشد رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى فضيلة الرفق واللين في الأمور كلها، فكان هو منهج الإسلام في التّعامل مع النّاس في كلّ شؤون الحياة؛ ففي الحديث الصّحيح عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «ما كان الرِّفق في شيءٍ إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه»[27].

والمرادُ باللّين في هذا المقام أمران:

– **الأوّل لين اللّفظ**: بأن يكون لطيفًا جذّابًا مُستميلاً لسامعه، بعيدًا عن التفّحش والطّعن والتجريح، ملتزمًا بكلّ مظاهر الأدب؛ وقد قرر ذلك الكتاب الكريم في مواضع عديدة منها قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤]، كما نفى رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن المؤمنين ما ينافي هذا الأدبَ، فيما روى عنه التّرمذيُّ بسند صحيح أنَّه قال: «ليس المؤمن بالطعَّان، ولا باللّعان، ولا الفاحش ولا البذيء»[28].

– **الأمرُ الثّاني: لين المضمُون**: وذلك بالجنُوح إلى التّرغيب والبُعد عن التّرهيب ما أمكن؛ فإنّ الإنسان بطبعه يستجيب للأوّل ويتفاعلُ معه أكثر من تفاعله مع الثّاني؛ وقد قدَّم القرآن التبشير على التحذير في أكثر المواضع، ومنها قوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣]؛ ولذلك كان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يأمرُ أصحابه بالتّبشير والبُعد عن التّنفير ما أمكن؛ فعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره؛ قال له: «بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا»[29]؛ وذلك لأنّ التّنفير يزرع في نفوس النّاس نوعًا من احتقار الذّات، وضربًا من الضّيق من سَماع من يحاورهم؛ ومنطق الحقّ والاعتدال يقتضي أن نضع كلّ أمرٍ في إطاره الطبيعيّ وحجمه المعقول.

وقد أثر هذا النهج في أتباع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فكانوا يرون اللين والرفق في الوعظ أقوم طريق إلى إصلاح الناس؛ قال الحسن البصري: قال بعضُ أصحاب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «والذي نفسي بيده إنّ أحبّ عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنّصيحة»[30].

---

[27] الدارمي، أحمد بن حبان، (1988)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، بيروت: مؤسسة الرسالة، (312/2). والحديث في كتاب البرّ والصّلة، باب: الرّفق، رقم: (551).

[28] التّرمذيّ، سنن الترمذي، كتاب: البرّ والصّلة، باب: اللّعنة، رقم: (1977)، (350/4).

[29] مُسلمٌ، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسّير، باب: في الأمر بالتّيسير وترك التّنفير، رقم:(1732)، (1358/3).

[30] السفّاريني، محمد بن أحمد (1996)، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، بيروت: دار الكتب العلمية، (65/1).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد ذكر الإمام الغزالي قصةً ممَّا يُذكرُ في بيان أهميّة مُراعاة هذا المعنى؛ أنّ واعظًا وعظ الخليفة العبّاسيَّ المأمون، وعنَّف له في القول؛ فقال له الخليفةُ وكان عاقلاً: يا رجلُ! ارْفُق؛ فقد بعث الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ منّي، وأمره بالرّفق؛ فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤][31].

الضّابطُ الثّالثُ: الانطلاق من القضايا المشتركة

إنّ من أهمّ مظاهر الوسطيّة في محاورة الآخرين؛ الانطلاقُ من أرضية مُشتركة متّفق عليها، وذلك هو الأسلوبُ الذي أمر به القرآن الكريم في مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم؛ حيثُ قال: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، قال الزمخشري: «أي مستوية بيننا وبينكم، لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل»[32].

وفي سياق الكشف عن المعنى الذي تقرّر على أساسه لزوم اتّباع هذا المنهج في محاورة الآخرين ومُناقشتهم؛ يقول الأستاذ الإمام محمد عبده: «المعنى أنَّنا نحن وإيَّاكم على اعتقاد أنّ العالَم من صنع إله واحد، والمتصرِّف فيه واحدٌ، وهو خالقه ومدبّره، وهو الذي يعرّفنا على ألسنة أنبيائه ما يُرضيه من العمل وما لا يُرضيه؛ فتعالوا بنا نتّفق على إقامة هذه الأصول المتّفق عليها، ورفض الشّبهات التي تعرض لها»[33].

وليس ذلك خاصًّا بأهل الكتاب؛ بل هو منهجٌ عامّ في محاورة أي مخالف، وعلى أيّ دين أو ملّة كان؛ وقد دلَّ على ذلك حوار القرآن مع الكافرين به من أهل مكة في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، فبدأ في دعوتهم من الأمر الذي لا يخالفون فيه، وهو أن الله هو الربُّ الخالق المدبِّرُ للكون.

---

[31] الغزاليّ، محمد بن محمد، إحياء علوم الدّين، بيروت: دار الكتب العلمية، (334/2).

[32] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (371/١).

[33] رضا، محمد رشيد، (1990)، تفسير القرآن الحكيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (268/2).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

كما يؤكّد قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ، وَأَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ»[34]؛ أن العمل مع المخالفين فيما يتفق عليه العقلاء من المعروف، كمنع الظلم، ونصرة المظلوم أمرٌ محمودٌ، لا ينبغي لداعية إلى الخير أن يتخلف عنه، قال المناوي: «أي ما يسرّني أن يكون لِي الإبل الحمر، وهي أعزُّ أموال العرب وأكرمّها وأعظمها؛ والحال أنِّي أنقضه... وأصل ذلك: اجتمع بنو هَاشم وزُهْرَةُ وتَيْمٌ في دار ابن جدعان في الجاهليّة، وجعلوا طِيبًا في جفنة، وغمسوا أيديَهم فيه، وتحالفوا على التّناصر، والأخذ للمظلوم من الظّالِم فسُمُّوا المطيَّبِينَ»[35].

الضّابطُ الرّابع: تجنّبُ استثارة مشاعر العداء لدى الآخر

ومن أبرز مظاهر الوسطيَّة التي جاء بها القرآن الكريم في محاورة الآخرين: تجنّب كلّ ما من شأنه أن يخدش عقائدهم، ويُثير مشاعرهم؛ والأصلُ في ذلك قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ ويذكر القرطبي في تفسير هذه الجملة أنَّ الله نهى عن سبّ كلّ معبود سواه؛ لما في ذلك من إثارة للمشاعر، وتحريك لدواعي الإباء عن قبول الحقّ والصدّ عنه؛ ويعلل حكمَ النهي عن سبّ أوثان المشركين؛ بأنّ ذلك يُؤدّي إلى استثارة عصبيَّتهم؛ فيسبُّون الله بغير علم، وينفرون من دعاة التّوحيد»[36].

وللإمام الشّوكاني كلامٌ نفيس في تفسير هذه الآية حيث قال رحمه الله: «وفي هذه الآية دليلٌ على أنّ الدّاعي إلى الحقّ والنّاهي عن الباطل إذا خشي أن يتسبّب عن ذلك ما هو أشدُّ منه من انتهاك حرام ومخالفة حقّ ووقوع في باطل أشدَّ؛ كان التّركُ أولَى به بل كان واجبًا عليه.. وقد ذهب جمهورُ أهل العلم إلى أنّ هذه الآيةَ محكمةٌ ثابتةٌ غير منسوخة، وهي أصلٌ أصيل في سدّ الذّرائع وقطع التطرّق إلى الشُّبَهِ»[37].

وممّا يؤيّد ذلك المعنى، ويشهدُ لتقريره في جملة الأسس التي ينبغي عدم إغفالها في محاورة الآخرين؛ نَهيُ النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- المسلمين بالمدينة عن المفاضلة بينه وبين موسى عليه السّلام؛ لمجاورة اليهود لهم آنذاك؛ فقد روى البخاريّ عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنّه قال: بينما يهوديٌّ يعرض سلعته؛ أُعطي بِها شيئًا كرهه؛ فقال: لا؛ والذي اصطفى مُوسى على البشر؛ فسمعه رجلٌ من الأنصار، فقام فلطم وجهه، وقال: تقول والذي اصطفى مُوسى

---

[34] الهيثمي، علي بن أبي بكر، (1994)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة: مكتبة القدسي، (172/8). والحديث في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحلف، رقم (١٣٥٨٢).

[35] المناويّ؛ عبد الرّءوف (1356هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، القاهرة: المكتبة التجاريّة الكبرى، (64/4). وانظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد (1979)، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت: دار الكتب العلمية، (424/1) .

[36] القُرطبيّ، الجامعُ لأحكام القرآن، (٦1/7).

[37] الشّوكانيّ؛ محمّد بن عليّ (1414هـ)، فتحُ القدير الجامع بين فني الرّواية والتّفسير، دمشق: دار ابن كثير، (171/2).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

على البشر، والنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بين أظهرنا؟ فذهب اليهوديُّ إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: أبا القاسم! إنّ لِي ذمّةً وعهدًا؛ فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال النبيّ للأنصاريّ: «لِمَ لطمت وجهه؟» فَذَكَرَهُ، فغضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى رُئِيَ في وجهه، ثمّ قال: «لا تفضّلوا بين أولياء الله؛ فإنّه يُنفخ في الصُّور فيَصْعَقُ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفَخ فيه أخرى؛ فأكونُ أولَ مَن بُعِث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصقعة يوم الطور، أم بُعِثَ قبلي؟»[38].

وإنما نَهى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن ذلك؛ ليُعلّم أمّته الأدب والتّواضع، وحُسن التعامل مع النّاس، وإن تعلّق الخصامُ بأمر من أمور العقيدة؛ لأنّ مثل ذلك التّفضيل يُؤدّي إلى الجَوْر، وانتقاص قدر الآخرين، وقد يكونُ فيهم أصحابُ فضل ودرجة، مثلُ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ ولما في التّفضيل والمقارنة أيضًا من استثارة للآخرين، وإثارةٍ لعصبيتهم، وفي ذلك ما فيه من إثارة العداوة والفتن[39].

الضّابطُ الخامسُ: التّعاون في المُتّفق عليه

ومن الأسُس التي وضعها القرآن معيارًا للحوار مع الآخرين؛ التّعاون في المتّفق عليه؛ فأمر بذلك في كلّ ما هو من قبيل البرّ والعمل الصالح؛ حيثُ قال اللهُ في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢]. وهذا المعنى من المعاني التي قصد القرآن الكريم إلى تقريرها في جملة المبادئ التي يقوم عليها الحوار الإسلاميّ؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

ولذلك سعى نبيُّ الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مُنذ أن كوّن دولته في المدينة إلى التّعاون مع سكّان المدينة من اليهود؛ حيثُ جاء في وثيقة المدينة، والتي تعتبر أوّل دستور للدولة الإسلامية: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم؛ مواليهم وأنفسُهم، عدا مَن ظلم وأثِم؛ فإنه لا يُوتغُ[40] إلا نفسَه وأهلَ بيته»[41].

ففي هذه الوثيقة بيانٌ لمدى حرص الإسلام على التّعاون مع الآخرين؛ وما حصل بعد ذلك من إيقاع العقُوبة باليهود إنّما كان جرّاء ما ارتكبوه من نَقْضٍ للعهد بينهم وبين المسلمين، وليس لما هم عليه من ديانة.

---

[38] البخاريّ، محمد بن إسماعيل (1422هـ)، صحيح البخاري، بيروت: دار طوق النجاة، (159/4). والحديث في كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وإنّ يونس لمن المرسلين﴾، رقم:(3233).

[39] انظر: الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (36/20).

[40] يُوتِغ: يهلك.

[41] ابن هشام، عبد الملك بن هشام (1955)، السيرة النبوية، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (503/1).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الضّابطُ السّادس: الوسطيّة والاعتدالُ

يضفي النص القرآني على الأمة المؤمنة به صفة الوسطيّة، فيقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. إنّ الإنسان خُلِقَ على فطرة سليمة متوازنة، وَتُسهم الأفكار التي يتلقّاها في نضج هذه الفطرة، أو في انحرافها وتشوّهها، ومن الأهداف الظاهرة للحوار الذي يرشد إليه القرآن الكريم المحافظةُ على الفطرة وإنضاجُها؛ ولكن حينما يكون الحوارُ نفسُه مُشوّهًا قاصرًا عن حقيقة الفطرة؛ فإنّ نتيجته سوف تكونُ تشويهاً للفطرة النقيَّة.

ومما يؤكّد هذا المعنى ويُرسّخه حديث الفطرة الذي يقولُ فيه الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «ما مِن مولود إلاّ يُولد على الفطرة؛ فأبواه يُهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه»[42]؛ فإذا كان خطابُ الأبوين وتنشئتُهما المنحرفةُ تجعل من المولود شخصًا مُنحرفا في دينه؛ فإنّ الخطاب العامّ قد يحرف النّاشئ أيضًا عن الإسلام الصّحيح.

نتيجةً للظّروف التي تَمرّ بِها الأمة العربيّة والإسلاميّة اليوم؛ فإن الحوار بحاجة إلى موازنة دقيقة، وبُعدٍ عن التّضخيم والمبالغة؛ ولزوم جادّة الاعتدال والوسطيّة في إنتاج التّصوّرات وطرحها على عامّة النّاس بمختلف فئاتِهم ومُستوياتِهم الفكريّة والثّقافيّة.

والمتأمّل في واقع خطاباتنا وحواراتنا اليوم يلحظ دون إجهاد فكر ونظر الهوّة العظيمة بينه وبين الاعتدال والتوسّط؛ حيثُ غدا كثيرٌ منها منابع للتّصوّرات والأطرُوحات المنحرفة، والتي لا تمثّل في الحقيقة سوى وجهات نظر مُشوّهة، لا يسندها الشّرعُ ولا العقل على حدّ السّواء.

ويحتاج دعاة الإسلام اليوم إلى إعادة صياغة خطابهم ومحاوراتهم بما يتّفق مع الفطرة النقية؛ فلا ينبغي أن يكون خطابهم للنّاس سببًا في إيقاعهم في الضّيق والحرج، وتنفيرهم من المنهج الإسلاميّ القويم؛ وفي الحديث الصّحيح عن أبي مُوسى الأشعريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره؛ قال: «بشّروا ولا تُنفّروا، ويسّروا ولا تُعسّروا»[43].

الضّابطُ السّابع: الواقعيّة والبُعد عن المثاليّة

ومن الضّوابط التي أصّلها القرآن الكريم عند محاورة النّاس: أن يكون حوراهم باعتبارهم بشرًا، يعتريهم الخطأ، ويَغلِب عليهم السّهوُ، وتَأْسِرُهم الشّهوة، وتنزع بِهم الأعراق والأعرافُ عن جادّة الصّواب؛ ولعلّ هذا المعنى واحدٌ من

[42] البخاريّ، صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبيّ فمات؛ هل يُصلّى عليه؟ رقم: (1358)، (94/2).
[43] مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسّير، باب: في الأمر بالتّيسير وترك التّنفير، رقم: (1732)، (1358/3).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

المعاني التي قصد القُرآن تقريرها في واقع المكلّفين عندما يُذكّر النّاس ببشريّتهم في غير ما موضع؛ منها قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠][44].

وبَيْنَ تعريفِ النَّاسِ بواقعهم وبين تنفيرهم وتيئيسهم هامشٌ ضيّقٌ يجب إدراكه بعناية، وإنّ التّشجيع واللّغة اللّطيفة والقولَ الليّن تُعْتَبَرُ السبيلَ الكفيلَ باستخراج أنبل ما في نفوس النّاس من معاني الاستجابة والاندفاع للعمل الصّالح، ويبقى بثُّ روح الأمل والاستبشار بالتقدّم والازدهار أقربَ إلى روح الشّريعة الإسلامية، وأعونَ للنّاس على النّهوض.

والحوارُ المتوازنُ هو الذي يُنشئ النّفوس المتوازنة؛ ومهمّتُه الحقيقيّة تتمثّل في أن يَمُدَّ حبل الوصلِ مع مَن نفَرُوا؛ ليكون عونًا على استمرار الجدال بالحسنى، ليصل طرفا الحوار إلى ما فيه خيرهم.

الضّابطُ الثّامنُ: التّأثير والإقناع

يُشكّل التّأثير والإقناع مقصدًا رئيسًا للحوار في القرآن الكريم؛ فهو يُرشد في كثير من آياته إلى اختيار أفضل الأساليب للوصُول إلى القلوب والتّأثير فيها؛ ولذلك فقد أمر الله نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يلتزم هذا المعنى في دعوته؛ فقال عزّ وجلّ: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣]، أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم؛ وبالغ في وعظهم إلى المقصود مُؤثّرًا فيهم[45].

ويرى الباحث محمد راشد يماس أنّ بساطة التّفكير لدى العامّة من النّاس تجعل الطّريق إلى تغيير سلوكهم يمرّ أساسًا عبر القلب وليس العقل؛ فلغة المشاعر والعواطف مفهومةٌ لديهم أكثر من لغة المنطق والبراهين، ومن المهمّ لكسب عقولهم أن نكسب قلوبهم، وهذا يتطلّب أن يكونوا أثناء مخاطبتهم في وضع نفسي مريح[46].

وللوصول إلى الإقناع والتأثير يحتاج المحاور أن يمتلك قدرًا غير قليل من الحماسة والعاطفة الجيّاشة لمقولاته؛ لأنّه يسهل عليه التّأثير في عواطف من يُحاوره، كما يجب عليه عندما يُحاور غيره أن يكون وفيّا أمينا للحقائق التي يوردها، والأدلّة والبراهين التي يستند إليها، حريصًا على نفع غيره حتى يستطيع كسب القلوب التي يحاول التّأثير فيها.

الضّابطُ التّاسعُ: الوضُوح والظّهورُ

[44] انظر: الصّويّان، أحمد عبد الرّحمن (1992)، الحوار أصوله المنهجيّة وآدابه السّلوكيّة، الرياض: دار الوطن، ص٩٢ وما بعدها.

[45] ابن كثير، تفسير ابن كثير، 347/2.

[46] يماس، محمّد راشد (1999)، فنُون الحوار والإقناع، بيروت: دار ابن حزم، ص22.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

من المهمّ أن يكون خطابُ المحاور واضحًا في غاية الوضُوح؛ وهذا المعنى أشار إليه القُرآن الكريم في مواضع كثيرة؛ منها قوله تعالى وهو يُبيّن مهمّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]. ولكون الوضُوح والظّهور من أهمّ الأدوات التي تكفل للحوار نجاحه؛ فقد سأل موسى عليه السّلام ربّه عندما أرسله أن يُطهّر لسانه من العيب الذي أصابه في صغره؛ فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ – ٢٨].

ويبيّن يماس أهمية الوضوح والبيان في الخطاب بقوله: « إنّ اللّغة ناقلٌ غيرُ كفء في بعض الأحيان، والنّاسُ حين يسمعون كلامًا؛ فإنّهم يفهمونه في ضوء ما لديهم من خلفيّات معرفيّة؛ بل إنّ كثيرًا منهم يقرؤون تلك الخلفيّات ويُبلورونها عوضًا عن الاشتغال بفهم ما سمعوه» [47].

ومن هنا؛ فإنّه من المفيد أن يحرص المخاطِبُ على التّأكّد من فهم النّاس لما يقوله؛ على الوجه الذي يقصد إليه ويريده، كتبسيط المعاني قدر الإمكان، والبعد عن العبارات المركّزة، والاستعانة في توصيل المعلومة بضرب المثل؛ فإنّ ضرب المثل ينقلُ الإدراك من معالجة أمرٍ معنويٍّ إلى مُعالجة أمر ماديّ ملموس، وإدراك المحسوس أسهل بكثير من إدراك المجرد والمعنويّ، وتكرار ما يحتاج إلى تكرار[48]. كما ويُعتبَر البعدُ عن الخلافيّات والتّفريعات: من أهمّ ما ينبغي للمحاور تجنّبه؛ خصُوصًا مع العوامّ؛ فإنّ إثارة ذلك مع العاميّ يُؤسّس لديه عقليّة التّساهل، ويُربك وعيَه، ويتسبّب في إدخال الأوهام عليه؛ لعدم معرفته بموارد الخلاف وأسبابِه الموضوعيّة.

6. الخاتمة

ومما سبق عرضه، وتيسر إيراده، يمكن الركون إلى النتائج الآتية:

أ. أنّ الحوار مطلبٌ شرعيٌّ دعا إليه القرآن الحكيم؛ وهو المنوط به فهم كلّ من المتحاورين مُنطلقات الآخرين ومسوّغات مواقفهم، وعندما يغيب الحوار تتحوّل الأمور إلى الهواجس والظنون والشّكوك والتصدّعات، والحوار أسلوبٌ دعويٌّ قرآنيٌّ أصيلٌ؛ وهو لا يعني التلقين برأيٍ أو فكر مُعيّن من جانب واحد، وإنما يعني أن يُعلِن كلّ طرف عن رأيه، ويأتي كلٌّ بدليله الذي يُؤيّده، وينتصر له بما يراه مُناسبًا.

ب. أنّ للحوار فوائد جليلةً؛ من أعظمها تحقيقُ التّقارب والتّجانس بين المختلفين، شريطة الالتزام بآداب الحوار، وحُسن العرض والاستدلال والبيان؛ فبذلك تُصْقَل الملكات وتُوضَّح المشكلات وتتقدّم الأمّة خُطوة إلى الأمام.

[47] يماس، فنون الحوار والإقناع، ص.35

[48] الميلاد، زكّي (1994)، الوحدة والتّعدّديّة والحوار في الخطاب الإسلاميّ، بيروت: دار الصّفوة، ص43.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ج. أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم؛ فهو في حاجة إلى أن يستنير برأي غيره؛ والحوار مُهمٌّ في اكتشاف الحقّ؛ كما أنّه مُهمٌّ في اكتشاف فهم المخالف بما يُعين على توجيهه أو تصحيحه؛ وهو مُهمٌّ لإزالة أو تقليل كثير من صور البغي والعدوان التي تقع بين المتخالفين؛ وهو مُهمّ لرسم سياسة التعاون بين الهيئات والمؤسسات الإسلامية وغيرها؛ إذ به تتّضح المناهج والقدرات ومجالات العمل فيتم التنسيق المثمر؛ وهو قبل ذلك وبعده: صورةٌ من صور النصيحة التي يجب بذلها للناس كافَّةً.

د. أنّ للحوار النّاجح عوامل كثيرةً، وفي مُقدّمتها: الاعتراف بأنّ الخلاف سنّةٌ من سُنن الله في خلقه، والاعتراف بأنّ العمل على الاتفاق فريضةٌ من فرائض الدّين لتحقيق مفهوم الأمّة الواحدة، والرجوع إلى الأصول وعدم الجدل في الفروع، والانطلاق من نقاط الاتّفاق لا نقاط الاختلاف، والانطلاق من المقاصد لا من الوسائل.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Abu Dawud, Solayman bin al-Ash'ath (1431H), *Sunan Abi Dawud*, Beirut: al-Maktaba al-Asriyyah.

[2] Ad-Darimi, Ahmed bin Hibban (1988), *al-Ihsan Fi Taqreeb Sahih ibn Hibban*, Beirut: Mo'assasat Ar-Risalah.

[3] Al- Quhsairi, Abdul-Kareem, *Lata'if al-Isharat*, Cairo: al-Haya'h al-A'mma lil-Kitab.

[4] Al-Bukhari, Muhammed bin Isma'el (1422H), *Sahih Bukhari*, Beirut: Dar Tawq An-Najah.

[5] Al-Ghazali, Muhamed bun Muhamed, *Ehya'a Oloom Ad-Din*, Beirut: Dar al-kotob al-Ilmiyyah.

[6] Al-Hashimi, Abdul-Hameed (1981), *Ar-rasoul Al-Arabi Al-Murabi*, Damascus: Dar Ath-Thaqafa lil Jamee'a.

[7] Al-Haythami, Ali bin Abi Bakr, (1994), *Majma'a Az-Zawa'ed wa Manba'a al-fawa'ed*, Cairo: Maktabat Al-Qudsi.

[8] Al-Jirjani, Ali bin Muhammed (1983), *At-Ta'reefat*, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.

[9] Al-Khatib, Abdul-Kareem (1975), *al-Qisas al-Qura'ni Fi Mantooqih wa Mafhoomih*, Beirut: Dar al-Ma'arifa.

[10] Al-Meelad, Zaki (1994), *al-Wahda Wat-Ta'dodiyyah Wal-Hiwar Fi al-Khitab al-Islami*, Beirut: Dar -al-Safwah.

[11] Al-Minawi, Abdul-Ra'aoof (1356H), *Faydh al-Qadeer Sharh al-Jamea As-Sagheer*, Cairo: al-Maktaba At-Tijariyyah al-Kubra

[12] Al-Qurtobi, Muhamed bin Ahmed, (1950), al-Jame'a li Ahkam al-Qur'an, Cairo: Dar al-Kotob al-Misriyyah.

[13] Al-Sa'ati, Ahmed bin Abdel Rahman, *Al-Fath Ar-Rabbani Li Tarteeb Musnad al-'Eman Ahmed Bin Hanbal Ash-Shaybani*, Beirut: Dar 'Ehya'a At-Turath Al-Arabi.

[14] Al-Saffarini, Muhamed bin Ahmed (1996), *Ghetha'a al-Albab Sharh Manthoomat Al-'Adab*, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 141-162
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[15] Al-Saqqar, Munqeth bin Mahmoud, *Al-Hiwar Ma' Atba'a al-Adyan*, Jeddah: Rabetat al-'Alam al-'Islami

[16] Al-Shatibi, Muhamed bin Ali (1982), *al-Eátisam*, Beirut: Dar -Al-Ma'rifa.

[17] Al-Shawkani, Muhamed bin Ali (1414H), *Fath al-Qadeer*, Damascus: Dar ibn Katheer.

[18] Al-Termithi, Muhammed Bin E'isa (1975), *Sonan Titmithi*, Cairo: Babi -al-Halabi.

[19] Al-Zabboon, Ahmed (2007), *al-Hiwar al-Tarbawi Fi As-Sunna An-Nabawiyyah*, Irbid, Jordan.

[20] Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar (1998), *al-Kash'af A'n Haqae'q At-Tanzeel*, Riyadh, Maktabat al-A'baikan.

[21] An-Nadwah al-A'lamiyyah Lish-Shabab al-Islami (1998), *Fi O'soul al-Hiwar*.

[22] An-Nawawi, Yahia bin Sharaf (1392H), *Sharh Sahih Muslim*, Beirut: Dar -Ihya' At-Turath al-Arabi.

[23] An-Nisa'ei, Ahmed bin Shoa'yb (1986), *As-Sonan As-Soghra*, Aleppo: Maktabat al-matboo'at al-'alamiyyah.

[24] Ibn Hisham, Abdel-Malik ibn Hisham (1955), *As-Sira An-Nabawiyyah*, Cairo: Mustafa Babi al-Halabi.

[25] Ibn Manthoor, Muhammed bin Makram (1993), *Lisan al-Arab*, Beirut: Dar Sader.

[26] Ibn-al-Atheer, al-Mubarak bin Muhammed (1979), *al-Nihaya Fi Gharieb al-Hadeeth Wal-Athar*, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.

[27] Muslim, Muslim ibn al-Hajjaj, (2010), *Sahih Muslim*, Beirut: Dar Ihya'a At-Thurath al-Arabi.

[28] Rida, Muhammed Rasheed (1990), *Tafseer al-Qur'an al-Hakeem*, Cairo: al-Haya'h al-A'mma lil-Kitab.

[29] Sabtan, Muhamed Hasan, *Taqweem Asaleeb Ta'eleem al-Qur'an wa Oloomoh Fi Wasa'el al-E'alam*, (https://waqfeya.com/book.php?bid=7513).

[30] Zamzami, Yahia bin Muhammed (1994), *al-Hiwar: 'Adaboh wa Dhwabitoh*, Mecca: Dar -At-Tarbiya Wat-Turath.